المستشار الألماني إريك هونيكر (١٩١٢-١٩٩٤م) ودوره السياسي بتاريخ المانيا الديمقراطية

Erich Honecker (1912- German Chancellor 1994 AD) and his political role in the history of democratic Germany

م.د. شهد حسام سامي

Lect. Dr. shahad hussam sami

جامعة سامراء – كلية الآداب

Samarra University-college of Arts

E-mail: shahad.hussam.sami@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: هونيكر، المانيا الشـــرقية، المانيا الديمقراطية، المانيا الإتحادية، جدار برلين.

Keywords: Honecker, East Germany, Democratic Germany, Federal Germany, Berlin Wall.

الملخص

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الحياة الاجتماعية لإريك هونكير Erich Honecker (١٩١٢-١٩٩٤م) السياسي والزعيم الالماني والتطرق لعمله الحزبي والسياسي لاسيما بعد انضمامه للحزب الشيوعي وتوليه الزعامة في المانيا الشرقية (الديمقراطية) ما بين عامي(١٩٧١-١٩٨٩م)، وتطورت الاحداث والأوضاع السياسية والاقتصادية أبان حكومته ومدى علاقته بالسوفييت وفالتر أولبريشت Walter Ulbricht (١٨٩٣-١٩٧٣م) وتعاونه معهم لبناء جدار برلين الذي أستمر لثلاث عقود من الزمن يقيد حرية الألمان، وصولا لعزله عن الحكم.

Abstract

The research aims to shed light on the social life of Erich Honecker (1912-1994 AD), the German politician and leader, and to address his party and political work, especially after he joined the Communist Party and assumed leadership in (democratic) East Germany between the years (1971-1989 AD). The political and economic events and conditions developed during his government and the extent of his relationship with the Soviets and Walter Ulbricht (1893-1973 AD) and his cooperation with them to build the Berlin Wall, which lasted for three decades, restricting the freedom of the Germans, leading to his isolation from power.

المقدمة

يُعد المستشار الألماني إريك هونيكر إحدى أبرز الشخصيات السياسية في تاريخ ألمانيا الشـــرقية (جمهورية ألمانيا الديمقراطية)، إذ لعب دورًا محوريًا في صـــياغة ســـياســـات الدولة الاشـــتراكية خلال فترة الحرب الباردة. تولّى هونيكر قيادة الحزب الاشـــتراكي الموحد الحاكم عام ١٩٧١، وظل في سـدة الحكم حتى سـقوط جدار برلين عام ١٩٨٩، ما جعله أحد الرموز البارزة للنظام الشيوعي في أوروبا الشرقية.

لقد شـــهدت فترة حكمه تحولات كبرى على الصـــعيدين الداخلي والخارجي؛ حيث رسّـــخ سياسات القمع السياسي والمراقبة الأمنية عبر جهاز "شتازي"، في مقابل تحقيق نوع من الاستقرار الاقتصـــادي النســـبي داخل ألمانيا الشـــرقية. كما عُرف بموقفه المتشـــدد تجاه الوحدة الألمانية، ما جعله مثار جدل في أوساط المؤرخين والمحللين.

يتناول هذا البحث ســـيرة هونيكر الســـياســـية والفكرية، ويســـتعرض مراحل صـــعوده إلى السلطة، وأبرز السياسات التي انتهجها، فضلاً عن الظروف التي أدت إلى سقوطه وانهيار النظام الذي مثّله. وتهدف هذه الدراســة إلى تقديم تحليل موضــوعي لدوره في التاريخ المعاصــر، وتأثيره على مصير ألمانيا والمنطقة الأوروبية في القرن العشرين.

أســـباب البحث: اختير هذا الموضـــوع رغبة لتحقيق إضـــافة علمية في تاريخ المانيا الحديث والمعاصر وعرض تاريخ أبرز شخصياتها السياسية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى عرض احداث المانيا الشـــرقية بعد الحرب بالعالمية الثانية والانقسام الذي حصل ومقارنة وضع جانبي ألمانيا، من خلال التطرق لسيرة حياة (إريك هونيكر) زعيم المانيا الشرقية.

منهج البحث: اتبع البحث في سرد المعلومات أسلوب البحث التاريخي التحليلي.

مشـــكلة البحث: مثلً البحث محاولة لفهم العوامل والمتغيرات التي أدت الى تغير واقع ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية، وتحديد الدور السياسي الذي قام به السياسي الألماني إريك هونيكر من بعد توليه زعامة المانيا الشرقية، فارتبطت الاشكالية بمسألة شائكة وهي تطور الجانب الغربي من المانيا بعكس الشرقي منها، ولماذا لم يسع زعمائها وفي مقدمتهم هونكير لحل الامر بل على العكس.

دراسـات سـابقة: من خلال كتابة البحث تبين وجود دراسـات سـابقة تخص تاريخ المانيا الشـرقية والغربية أبان تلك المدة، تتحدث عن الأوضـــاع الســـياســـية والاقتصـــادية والاجتماعية ، لكنها لم تركز على حياة او شخصية إريك هونيكر قبل تولية منصب المستشارية وما بعد المنصب، وهذا ما ركز عليه البحث.

قسم البحث: قسم البحث الى عدة محاور تسبقها مقدمة وتنتهي بخاتمة، أما المحاور فهي:

أولا: نشأة هونيكر ودوره في الحزب الشيوعي الألماني

ثانيا: دور هونيكر في حركة الشباب الألماني الحر

ثالثا: رئاسة المستشار هونيكر لحكومة المانيا الشرقية (الديمقراطية)

رابعا: أوضاع ألمانيا الشرقية أبان حكم المستشار هونيكر

خامسا: أهم إنجازات حكومة المستشار هونيكر

سادسا: تدهور أوضاع المانيا الديمقراطية أبان حكومة المستشار هونيكر

سابعا: نهاية حكم المستشار هونيكر

ثامنا: حياة هونكير بعد الحكم

أولا: نشأة هونيكر ودوره في الحزب الشيوعي الألماني

ولد إيرك بول هونيكر في ٢٥ اب/أغسطس عام ١٩١٢م في فيبلسيكرشن في مدينة سارلاند (تقع في جنوب غرب ألمانيا بالقرب من الحدود مع فرنسا ولوكسمبورغ) (الخوند، ٢٠٠٨، ص٣٢)، والده كان يعمل عاملا في المناجم وهي وظيفة شاقه، فأتجه والده الى الشيوعية لأنها تمثل العمال، إلا ان هونيكر لم يفضل ان يعمل عمل والده لكنه فضل السير على خطى والده في العمل الحزبي ففي عام ١٩٢٩م وعند بلوغه السادس عشر من عمره إنضم الى جانب تعليمه المهني الحزب الشيوعي الألماني (ويبر، ٢٠٠٥، ص ٢٦١؛ البرات، ١٩٩٨م، ٥٥٩/١٠)، الحزب السياسي الرئيسي في ألمانيا، والذي تأسس في أعقاب الحرب العالمية الأولى من قبل الاشتراكيين المعارضين للحرب، بقيادة روزا لوكسمبورغ، برز ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٣٣ (سامي، ٢٠١٩، ص٢٩؛ ماركس، ٢٠١٦، ص ١٨٩-١٩٢).

أظهر هونيكر علامة مميزة في شخصيته كالاجتهاد في الحزب، فارتقى في الرتب فتم إرساله الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٠م ليكمل دورتان لمدة عام واحد في مدرسة لينين الدولية في موسكو المكان المناسب للشيوعيين والتي أكتسب منها خبرات فكرية وفهما للعمليات السياسية بدراسته نصوص ماركس ولينين، فقد كان مطلوبا منه ان يكون ناشطا شيوعيا، فعاد الى سارلاند وعمل ناشطا شيوعيا ذو مهارات(Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.1–6).

أما فيما يخص حياته الاجتماعية فبعد الحرب العالمية الثانية تزوج هونيكر من حارسة السجن شارلوت شانويل والتي توفيت بعد بضعة أشهر بسبب ورم في المخ قبل أن ينجب منها أي طفل، ثم تزوج بعدها من زوجته الثانية إديث باومان والتي كانت نائبته في إدارة الحزب، والتي أنجب منها ابنته إريكا، أما زوجته الثالثة فهي مارغوت فيسـت والتي بقت معه أطول فترة

وتولت أدوار مهمه في دولة ألمانيا الشـــرقية، والتي أنجب منها ابنته ســـونيا (Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.1-7).

وعندما تولى هتلر السلطة (١٩٣٣-١٩٤٥م)، بدأ بحملة كبيرة لإلقاء القبض على العديد من أعضاء الحزب الشيوعي الألماني، ولانشغال هونيكر بالسلك الحزبي أصبح غير أمنا بعد ان ضـــم هتلر ســـارلاند الى المانيا فهرب في البداية الى باريس ثم عاد الى المانيا وهذه المرة الى برلين، وعمل كصحفي سري للحزب الشيوعي لبضعة أشهر لكن الجستابو قبض عليه والقي في الســـجن عام ١٩٣٣م، ولأنـه كـان صـــغيرا جدا على تلقي حكم الإعدام على عكس رفاقه الشـــيوعيين(Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.4)، فقبع في ســـجون النازية لمدة عشرة سنوات(روبنز، ٢٠١٦، ص٣٣٧)، قضى هونيكر فترة عقوبته في العديد من أقسى سجون برلين، وبينما كان والده يقدم التماسات متكررة لإطلاق سراحه كان هونيكر مصمما على التمسك بمبادئه الشيوعية(سامي ، ٢٠٢٤؛ Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.4)

اثناء المدة التي قضـاها هونيكر في السـجن لم يكن يختلط مع السـجناء(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦١)، وكان له فقط صـــديقة واحدة هي شـــارلوت شـــانويل والتي مر ذكرها ســـابقا إحدى مشرفات السجن والتي ساعدته في عام ١٩٤٥م على الهرب من السجن وإكمال مسيرته الحزبية ، والتي تزوج منها بعد ذلك وبدورها أعادته الى السـجن بطريقة ما بدون عقوبة إضـافية لخوفها من أن يعتقله الجســـتابو، فتم إطلاق ســـراحه من الســـجن قبل نهاية الحرب (Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.5).

يمكن تحديد بداية عمل هونكير في السـياسـة منذ انضـمامه الى الحزب الشـيوعي، فقد تطور علاقاته السياسية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، عندما شق طريقة صعودا بالمناطق المحتلة من قبل الروس أي المانيا الشـــرقية فقد كان مقربا من فالتر أولبريشـــت (Walter Ulbrecht)[١] المهندس الذي ينتمي لحزب الوحدة الاشـتراكي، والذي أنتخب ليصـبح عضـوا في الرايخستاغ عام ١٩٢٨ بإعتباره شيوعيا (روبنز، ٢٠١٦، ص٣٣٦ ؛ ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦١).

---

١) **فالتر أولبريشت (١٨٩٣-١٩٧٣م):** هو سياسي ألماني شيوعي، شارك أولبرشت في الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٥ إلى ١٩١٧م ، وفي عام ١٩١٧م أصبح عضوا في الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل ، كان اولبرشت في الاصل معارضاً للحرب منذ البداية وعلى اثر ذلك سجن اولبرشت في مدينة شارلوروا في بلجيكا، ثم أطلق سراحه في ١٩١٨م في أثناء الثورة الألمانية المسماة بثورة نوفمبر، تم انتخابه للبرلمان عن ولاية ساكسونيا عام ١٩٢٦. وأصبح عضوا في مجلس النواب ممثلا لولاية وستفاليا من ١٩٢٨م إلى ١٩٣٣م ، اصبح اولبرشت رئيس للحزب الشيوعي في برلين في عام ١٩٢٩م ، عد أولبرشت أحد أبرز قادة ألمانيا الشرقية في الفترة ما بين ١٩٥٠ و١٩٧١م . للمزيد من التفاصيل ينظر: **(سامي، ٢٠١٩، ص٣٠؛ Stern, 1995).**

ثانيا: دور هونيكر في حركة الشباب الألماني الحر

قسم المنتصرون بالحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) ألمانيا أو ما تبقى منها إلى أربع مناطق احتلال للوجود العسكري في كل قطاع وأحتل الأمريكيون القطاع الجنوبي واحتل السوفيت القطاع الشرقي، أما القطاع الغربي فكان نصيب الفرنسيون والشمالي نصيب الشمالي، أما العاصمة برلين فقد اتفق الحلفاء على تقسيمها إلى أربع مناطق احتلال، إلا إن بعد مرور فترة قصيرة تم دمج القطاعات الثلاث الامريكية والانجليزية والفرنسية، وأصبحت قطاعين شرقي يسيطر عليه الاتحاد السوفيتي وغربي تسيطر عليه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا (طه، ١٩٩٠، ص١١٥-١١٦).

فأصبح فالتر أولبريشت الذي قضى مدة النظام النازي في الاتحاد السوفيتي زعيما لدولة المانيا الشرقية الجديدة (الديمقراطية)، فتم اختيار هونيكر الذي صقلته فترة سجنه ليكون عضوا بارزا في النظام فكان أول دور مهم له في تشكيل دولة المانيا الشرقية هو تأسيسه وترأسه لحركة الشباب الألماني الحر(FDJ) في عام ١٩٤٦م، كان هدف هذه الحركة هو توجيه الطاقة التي تستخدم حتى ذلك الحين لشباب هتلر الى الشيوعية(Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.5؛ ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦١).

بدأ هونيكر يعمل بشكل عملي لتلبية حاجات الشعب وخاصة قضايا الشباب باتجاه موضوعي وانفتاح أكثر من خلال المطالبات ببعض الحريات والتخلص من قيود الديكتاتورية وهذا ما تفاءل به الشعب (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٣).

إن هذه الحريات والمطالبات بها لم تكن إلا مظاهر كاذبة ذات أبعاد سياسية من قبل هونيكر الذي كان يلعب دور الأب والزعيم لحركة الشباب الألماني للسيطرة على الوضع الداخلي والسيطرة على هذه الفئة من الشعب(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٣)، وبصفته رئيسا لهذه الحركة حولها إلى منظمة جماهيرية ذات توجه شيوعي ليستخدمها في مساعيه للوصول إلى مراكز عالية، ولذلك أستمرت رأسته للمنظمة الى خمسينات القرن (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٢).

ولتميزه الحزبي أوكل إليه البرشت عدة مهام حزبية سياسية وأمنية وإدارية ، أهمها مسؤولية القوات العسكرية والشرطة وحرس الحدود والمخابرات مما جعله أبرز الشخصيات في جمهورية المانيا الديمقراطية آنذاك (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٢).

ثالثا: رئاسة المستشار هونيكر لحكومة المانيا الشرقية (الديمقراطية)

أصبح هونيكر شخصية سياسية يعتمد عليها في الأوساط الحكومية، ففي أواخر الخمسينات تعرض ألبرشت إلى انتقادات شديدة من قبل أشهر أعضاء حزب الوحدة الاشتراكي، وبدوره هونيكر أوقف تلك الانتقادات وساند ألبرشت في الحفاظ على مركزة، ومقابل ذلك كافئة

ألبرشت في عام ١٩٨٥م بتنصيبه عضوا في المكتب السياسي في قيادة الحزب، وبعد أن أثبت هونيكر جدارته الحزبية وإضافة إلى منصبه في الحزب تم تسليمه منصب ممثل عن مجلس الدفاع الوطني عام ١٩٦٠م (ويبر، ٢٠٠٥، ص ٢٦٢)، وبسبب حنكته السياسية والإستراتيجية العبقرية في المحافظة على سيطرة النظام الشيوعي في المنطقة وصل إلى بيت السلطة في الحزب، وفي عام ١٩٧١م أصبح الرئيس الجديد للحزب بعد أن انتهت فترة هيمنة ألبرشيت (روبنز، ٢٠١٦، ص٣٣٦)، وبعد بمرور خمسة سنوات أي في عام ١٩٧٦م تم انتخابه رئيسا للدولة (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٢-٢٦٣).

رابعا: أوضاع ألمانيا الشرقية أبان حكم المستشار هونيكر

سمح هونيكر لجمهورية المانيا الديمقراطية بالإنضمام الى لجنة الأمن والتعاون في أوربا، أيد هذا القانون الحقوق العالمية المتعلقة بالسفر والمعلومات والصحافة، وهي ليست بالضرورة الحقوق التي أرادت جمهورية المانيا الديمقراطية ضمانها، على الرغم من نقاش المكتب السياسي حول الصفقة، مضى هونيكر قدما بها أولا لان الاتحاد السوفيتي أيدها ولكن أيضا لأنها أضفت الشرعية على دولة المانيا الشرقية بإعتبارها دولة مساوية في عالم الأمم، كان هونيكر يروج بإستمرار للمزيد من الفرص لفتح سفارات وإقامة اتصالات مع دول العالم على عكس سلفه، فقد أمضى هونيكر الكثير من الوقت في زيارة رؤساء الدول الأخرى، وحصل على العديد من درجات الدكتوراة الفخرية نتيجة لذلك (Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.10) .

أبان عهد هونيكر تم تطوير جهاز الرقابة السرية (الشتازي)[٢] بتقنيات جديدة والذي بفضله تمت إجراءات إيقاف الاتصالات بين شعب المانيا الشرقية مع العالم الغربي، كما قام بتفكيك كل التجمعات المعارضة(ويبر، ٢٠٠٥، ص)، فتضاعف عدد أفراد الجهاز ليبلغوا ما يقارب (٩١٠٠٠) فرد، فأصبح الجهاز أكثر فعالية ضد أي عملية وتحرك ثوري، مما أدى إلى أعدادهم باستمرار تدريجيا أبان السبعينات والثمانينات، والذين بدورهم ساندوا حكومة هونيكر ببث الخوف وتقييد تحركات المواطنين في المانيا الشرقية لوقت طويل(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٧).

عملت استراتيجية هونيكر لتحسين مقاييس الحياة باتجاه إيجابي، فقد زادت الأجور ورواتب التقاعد، كما تقدم قطاع البناء السكني، وتم تخفيض ساعات العمل، وإضافة لما تقدم تحسن وضع التجهيزات المنزلية بشكل ملحوظ كالثلاجات والتلفزيونات والغسالات والسيارات وغيرها(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٧).

---

٢) **الشتازي:** هو اختصار لوزارة أمن الدولة في المانيا الشرقية (الديمقراطية)، وهو بمثابة شرطة سرية واستخبارات داخلية، اشتهر هذا الجهاز بالقدرة الفائقة على التجسس على المواطنين، كما قد مارس قمعا شديدا ضد كل معارض للحكم. للمزيد من التفاصيل، ينظر: **(كوهلر، ٢٠٠٥، ص ١٢)**

كما يمكن القول إن البنية الداخلية للدولة لا ينبغي أن تنتقص من مبادرات سياستها الخارجية ومع ذلك فإن عسكرة مجتمع المانيا الشرقية ليست علامة مطمئنة على ان هونيكر يريد العيش بسلام ، المانيا الشرقية والتي يبلغ عدد سكانها ١٧ مليون نسمة لديها ١.٢ مليون رجل مسلح، ففي عام ١٩٧٦ أصبح التدريب شبه العسكري إلزاميا في المدراس رغم معارضة الطائفتين الكاثوليكية والبروتستانتية في المانيا الشرقية (Starrels, 17 August 1984).

ومن خلال ما تقدم سجلت المانيا الشرقية المقاييس الأعلى للحياة الاقتصادية والاجتماعية بعد تحولها إلى علامة تجارية تنافس المنتجات العالمية من خلال تصديرها إلى سوق البلاد العربية، ورغم التقدم الاستراتيجي الذي حققته حكومة هونيكر إلا إن تطوير المخطط الاقتصادي وصل إلى ما يقارب ٣٣٪من مستوى التطور الاقتصادي في المانيا الغربية(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٨؛ خزعل، ٢٠١٦، ص١٦-٢٢).

ارتفعت قيمة الدعم الحكومي ما بين عامي(١٩٧٠-١٩٨٨م) مما يقارب ١١.٤ إلى ٦١.٦ بليون مارك الماني والذي يعادل ربع خزينة الدولة نتيجة الديون السابقة المتزايدة على جمهورية المانيا الديمقراطية لجمهورية المانيا الاتحادية، فقد ارتفعت الديون حتى أصبحت الحكومة عاجزة عن دفعها(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٨-٢٧٠).

(جدول رقم ١)

الأعوام	ارتفاع الديون
١٩٧٠-١٩٧٥م	من ٢ بليون مارك الماني إلى ١٣ بليون مارك الماني
١٩٧٥-١٩٨٠م	٢٨ بليون مارك الماني
١٩٨٠-١٩٨٩م	٤٩ بليون مارك الماني

الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على المصدر: (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٦٩-٢٧٠)

خامسا: أهم إنجازات حكومة المستشار هونيكر

١. أطلق خطة "الوحدة الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٧١"، التي ركّزت على بناء المساكن الشعبية، تم بناء أكثر من ٣ ملايين شقة خلال فترة حكمه، خاصة في الضواحي الجديدة مثل "مارزان" و"هوهشونهاوزن" في برلين الشرقية، هذه الخطة حسّنت أوضاع ملايين المواطنين، وقللت من أزمة السكن(Fulbrook, 2005, p.135-138).
٢. تحسين الرعاية الاجتماعية والصحية، إذ زاد من دعم النظام الصحي والتعليم المجاني، ووفّر نظام حضانات وروضات شاملة لجميع الأطفال، كما دعم النساء العاملات عبر إجازات أمومة مدفوعة وأوقات عمل مرنة(McCauley, 1983, p.101-105).

٣. كان نظام التعليم في ألمانيا الشرقية في عهد هونيكر يعتبر من الأكثر تقدمًا وتنظيمًا في الكتلة الشرقية، إذ تم فرض التعليم المجاني في جميع المراحل، مع التركيز على العلوم والتقنيات، ودمج الأيديولوجيا الماركسية ضمن المناهج. كما دعمت الدولة المسرح والأدب والموسيقى، ولكن تحت رقابة سياسية صارمة(Fulbrook, 2005, p. 144-150).

٤. رغم تبعية ألمانيا الشرقية للاتحاد السوفيتي، إلا أن هونيكر انتهج سياسة خارجية تُظهر نوعًا من السيادة، وحقق اعترافًا دوليًا واسعًا خاصة بعد انضمام البلاد للأمم المتحدة عام ١٩٧٣. لكنه رفض إصلاحات غورباتشوف واعتبرها خطرًا على النظام الاشتراكي (McAdams, 1985, p.92-97).

٥. اعتمد هونيكر على جهاز أمن الدولة (الشتازي) لترسيخ الحكم، حيث تم بناء واحدة من أعقد أنظمة المراقبة في العالم، ضمت مئات آلاف العملاء الرسميين وغير الرسميين. ساهم هذا النظام في الحفاظ على استقرار الدولة، لكنه خلق مناخًا من القمع والخوف (Koehler, 1999, p.45-60)

سادسا: تدهور أوضاع المانيا الديمقراطية أبان حكومة المستشار هونيكر

على الرغم ما أحرزه إيريك هونيكر من إنجازات خلال فترة قيادته لجمهورية ألمانيا الديمقراطية، خاصة على صعيدي التعليم والرعاية الاجتماعية، فإن تلك النجاحات لم تكن كافية لمواجهة التحديات البنيوية العميقة التي عصفت بالدولة في سنوات حكمه الأخيرة. فقد شكل التدهور الاقتصادي والاجتماعي عقبة جوهرية أمام استمرارية تلك الإنجازات، وأعاق تحقيق إصلاحات جديدة. ويعود هذا التدهور إلى مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، كان أبرزها:

١. التدهور الاقتصادي:

ما بين عامي (١٩٨١-١٩٨٢م) اتجهت الأوضاع الاقتصادية نحو التدهور، فقد فقدت المانيا الشرقية المساعدات الممنوحة من قبل موسكو، كما خفض الاتحاد السوفيتي تزويدها بالنفط بمعدل مليوني طن أي بما يعادل ١٠٪ من دعمها، فأطلق هونيكر المناشدات حكومة الاتحاد السوفيتي بالعدول عن هذه القرارات لحدوث ركودا اقتصاديا ضعضع الوضع الداخلي لألمانيا، فحصلت الجمهورية جراء ذلك ما بين عامي (١٩٨٣-١٩٨٤م) على قرضين مصرفيين قيمة كل واحد منهم (بليون مارك الماني) لإيقاف الوضع الكارثي والمؤشر لبداية نهاية الجمهورية، بالتأكيد كان هذين القرضين بموافقة حكومة المانيا الاتحادية وذلك لإن انهيار المانيا الديمقراطية يعني انطلاق تدخل الاتحاد السوفيتي وهو ما يعارض مصالحها (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٧٩-٢٨٠).

نجح هونيكر حتى منتصف الثمانينات بتفادي الانهيار الاقتصادي وعزز العلاقات مع حكومة غينشر/كول وحققت تحالف الحكمة، لكن داخل المانيا الديمقراطية بقت الأوضاع متأزمة ومتوترة لبقاء الحزب الشيوعي متمسكا بموقف السيطرة على جميع قطاعات الحياة(ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٨٢).

٢. جدار برلين:

جدار برلين هو الجدار الذي بني ليفصل قسمي مدينة برلين الشرقية عن الغربية للحد من عمليات الانتقال التي كانت تتم من برلين الشرقية الى الغربية، تم إنشاؤه في ١٣ اب/أغسطس ١٩٦١ من قبل الاتحاد السوفيتي(خليدة، ٢٠١٦-٢٠١٧، ص٤٥)، فصل الجدار بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي(فارس، ٢٠٠٢، ص١٤).

تألف الجدار من ١٢كم من الكتل الأسمنتية و١٣٧كم من الأسلاك الشائكة، بلغ طول الجدار ما بين ١٤٩كم، (فارس، ٢٠٠٢، ص١٤) و١٥٥كم، جعل هذا الجدار ١٧ مليون مواطن في المانيا الشرقية رهائن لمدة ٢٨ عاما وعد حدثا تاريخيا عالميا وقف وراءه أبرز الشخصيات أبرزهم هونيكر(Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.1).

فقد جاءت الأوامر من خروتشوف إلى اولبرخت لبناء الجدار والذي بدوره أعطى الأوامر إلى هونيكر هذا الرجل الذي أصبح ثاني ديكتاتور لألمانيا الشرقية(Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.3)، لم يتخلى النظام في المانيا الشرقية عن دعوته للوحدة مع المانيا الغربية غير إن هونيكر غير تلك السياسة عند توليه قيادة حزب الوحدة في عام ١٩٧١، فقد أجرى عدة تغيرات بقيادته للحزب أهمها هو تخليه عن هدف إعادة الوحدة بين الالمانيتين وتأكيده " إن سكان المانيا الشرقية قد شكلوا أمة بذاتها "(علي، ج٦، ع٤، اب ٢٠٢٤، ص٥٧٠-٥٧١)، وبعد عام أي في ٨ تشرين الثاني عام ١٩٧٢ تم توقيع (المعاهدة الأساسية) بين الالمانيتين لوضع حدود العلاقة بينهم ورفض قادتهم إقامة أمة المانية موحدة وترسيخ الحدود بينهم(ويبر، 2005 ، ص٢٨٣) (للتفاصيل ينظر: سامي، ٢٠٢٤)

٣. الهجرة:

أبان حكم المستشار هونيكر تزايد عدد المهاجرين الى المانيا الغربية فقد ازداد عددهم ما بين عامي ١٩٧٢-١٩٨٧م (النائب، ٢٠١٣، ص٢٠٥).

جدول رقم (٢)

إحصائية الأعوام	عدد المهاجرين
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٢	١٧١٦٤ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣	١٦١٨٩ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤	١٣٢٥٢ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥	١٦٢٨٥ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٦	١٥١٨٨ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧	١٢٠٧٨ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٨	١٢١٧٧ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩	١٢٥٥٥ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠	١٢٧٦٣ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨١	١٥٤٣٣ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢	١٣٢٠٣ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣	١١٣٤٣ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤	٤٠٩٧٤ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥	٢٤٩١٢ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦	٢٦١٧٨ مهاجر
٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧	١٦٩٥٨ مهاجر

الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على المصدر: (ويبر، ٢٠٠٥، ص٢٨٣-٣٠٠)

فقدت حكومة هونيكر السـيطرة المطلقة بإنجازاتها الأيديولوجية ما بين عامي (١٩٨٧-١٩٨٩)؛ إذ اصبحت واقعه تحت ضغط التبدلات الخارجية، والداخلية كحرية الرأي وحرية الحركة وقطاعات المجتمع التي عزلت بسـبب الفروق الاجتماعية والثقافية ما بين الالمانيتين والتي تحولت الى نقد شعبي تجاه الحكومة(علي، أغسطس ٢٠٢٤، ع٤، ٥٧١/٦).

فأوضحت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التفاوت الكبير في الناتج المحلي الاجمالي ونصيب كل فرد لعام ١٩٨٩م ما بين جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية كما في الجدول رقم (٣) (Heeb, 2014, p.٩-١٠).

جدول رقم (٣)

	جمهورية المانيا الديمقراطية	جمهورية المانيا الاتحادية
الناتج المحلي الاجمالي	١٥٩.٥ مليار دولار بما يقدر (٤.٣٪)	٩٤٥.٧ مليار دولار بما يقدر (١.٢٪)
نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي	٩٦٧٩ دولار	١٥٣٠٠ دولار

الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على المصدر: (Heeb, 2014, p.9-1)

يتضح من الأرقام في الجدول أعلاه، إن جمهورية المانيا الاتحادية قد قدمت فرصة أكبر للازدهار الاقتصادي والذي سبب وعي الشعب الألماني الشرقي للتفاوت بين البلدين وضعف إجراءات حكومة هونيكر وحزبه.

قام غورباتشوف بزيارة دولة المانيا الغربية في ٢٧ حزيران ١٩٨٩ ووقع اعلانا مشتركا اعترافا فيه بحق كل دولة في اختيار نظامها السياسي والاجتماعي وان مبدأ تقرير المصير لا جدال في(Mueller, 2014, p.120)، فخلال زيارة أعرب غورباتشوف إن الجدار قد يختفي حالما تنتهي تلك الفروقات والظروف ما بين الالمانيتين، هذا التصريح كان مخالفا لتصريح هونيكر الذي أكد على بقاء الجدار بقوله: "الجدار سيبقى طالما الظروف التي قادت الى بناءه لم تتغير وانه سيبقى لخمسين عاما وحتى مئة" (علي، أغسطس ٢٠٢٤، ع٤، ٥٧٩/٦؛ شعبان، أيار/ مايو ٢٠١٣، ص١١٢).

سقط الجدار في ٩ نوفمبر ١٩٨٩ (Kluger and Blannchflowera, P.12) وأصبح سقوطه يشكل منعطفا هاما بتاريخ البشرية إذ سجل هذا الحدث نهاية حقبة ضللتها صراعات دكوية معقدة في العالم وشكلت المانيا بشطريها الدور المحوري في الصراع (خليدة، ٢٠١٦-٢٠١٧، ص٤٥).

سابعا: نهاية حكم المستشار هونيكر

نتيجة لجملة من الأحداث حدثت في المانيا الشرقية عام ١٩٨٩ ضعفت حكومة هونيكر، في مقدمتها قضية مئات الألوف من اللاجئين الذين فرو من المانيا الشرقية الى الغربية التي مر ذكرها سابقا، فضلا عن مظاهر الترف التي تمتعت بها حكومة هونيكر، وحاجة شعب المانيا الشرقية لمستوى معيشة أفضل كالتي يعيشها شعب المانيا الغربية وخروجه بمظاهرات ضد

الحكومة ومقابل ذلك رد الحكومة باســـتخدام الجيش وأجهزة الأمن لتفريقهم، جميع هذه الأحداث أدت إلى فقدان نظام حكم هونيكر تأييد السـوفييت وبالتالي تحطيم سـور برلين ما بين الألمانيتين وبناءً لذلك قرر الحزب الشيوعي في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩م عزل هونيكر من حكم المانيا الشـــرقية وزعامة الحزب مع مجموعة من وزرائه الذين يمثلون الحزب، تم انتخاب رئيس جديد للبلاد كما تم فتح الحدود بين الألمانيتين(صالح، ٢٠١٩، ص١٠٩-١١٠).

ثامنا: حياة هونكير بعد الحكم

بعد سقوط جدار برلين في عام ١٩٨٩ وانهيار النظام الشيوعي في ألمانيا الشرقية، أُجبر إريك هونيكر على الاستقالة من جميع مناصبه، نتيجة الضـغط الشـعبي والسـياسـي المتصـاعد، خصـوصًـا من داخل الحزب الاشـتراكي الموحد نفسـه (Encyclopaedia Britannica – Erich Honecker Biography).

استقال هونيكر ووُجهت إليه تهم جنائية تتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان، خصوصًا القتل المتعمد للفارين من ألمانيا الشرقية عبر الجدار. وفي عام ١٩٩١، لجأ إلى موسكو لتلقي العلاج من مرض السرطان، ثم احتمى داخل سفارة تشيلي بعد ضـغوط من الحكومة الألمانية لتسليمه. (DW – Deutsche Welle: Erich Honecker)

هرب هونيكر إلى الاتحاد السـوفيتي وبقى هناك حتى اسـتدعاه الألمان مرارا وتكرارا فلجأ بعد ذلك إلى السـفارة التشـيلية، ثم قدم للمحاكمة لإصـداره حكم الإعدام بحق أولئك الذين حاولوا عبور جدار برلين، فألقى هونيكر أكثر خطاباته إثارة إذ أعلن ندمه على عمليات القتل على الحـدود، كمـا أعلى أنـه مريض جـدا ولا يمكنـه المثول للمحـاكمـة (Kluger and Blannchflowera, (n.d), P.12).

وافقت موسـكو في نهاية المطاف على تسـليمه إلى ألمانيا، حيث بدأ القضـاء الألماني بمحاكمته. غير أن حالته الصحية المتدهورة نتيجة إصابته بسرطان الكبد أدت إلى إسقاط التهم عنه لأسباب إنسانية في عام ١٩٩٣، ما سمح له بمغادرة البلاد الى تشيلي حيث كانت تعيش ابنته، وهناك توفي في ٢٩ مايو ١٩٩٤ في العاصـمة سـانتياغو عن عمر يناهز ٨١ عاما (BBC History Archive – The Trial and Release of Erich Honecker; Fulbrook, 2005, p.262-265).

الخاتمة:

من خلال ما تقدم توصل الباحث الى مجموعة نتائج أهمها:

- لقد شكّل إريك هونيكر نموذجًا للقيادة الاشتراكية التي آمنت بالنهج السوفيتي في الحكم، محافظًا على قبضة حديدية على الدولة والمجتمع في ألمانيا الشرقية. ورغم النجاحات التي حققها في مجالات مثل التعليم والصناعة، فإن سياساته القمعية ورفضه للإصلاح أديا إلى تآكل شرعية نظامه وسقوطه في خضم ثورات ١٩٨٩. وبهذا، يمثل هونيكر رمزًا لتجربة سياسية مثيرة للجدل، تجمع بين الطموح الثوري والانغلاق السياسي، وتبقى سيرته جزءًا أساسيًا من فهم تاريخ ألمانيا الحديثة وتحولاتها الكبرى.
- إن أبرز الأسباب التي أدت إلى تدهور الأوضاع في عهد هونيكر:

١. **الجمود السياسي:** تمسّك الحزب الاشتراكي الحاكم بسياسات قمعية، ورفضه الانفتاح أو إجراء إصلاحات سياسية، خاصة في ظل موجة الانفتاح في الاتحاد السوفيتي بقيادة غورباتشوف.
٢. **الأزمة الاقتصادية:** تفاقم العجز في الاقتصاد نتيجة الاعتماد على الصناعات الثقيلة والتخطيط المركزي، مع ضعف في الابتكار والإنتاجية، مما أدى إلى تراجع مستويات المعيشة.
٣. **الانعزال عن الغرب:** استمرار بناء جدار برلين وسياسة الانغلاق حالت دون التبادل الاقتصادي والثقافي مع ألمانيا الغربية، وزادت من عزلة الدولة.
٤. **فقدان الشرعية الشعبية:** مع تزايد الفجوة بين خطاب النظام وواقع المواطنين، بدأ الشعب يفقد الثقة في القيادة، مما مهّد لانفجار الاحتجاجات في أواخر الثمانينيات.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا. الكتب العربية والمعربة:

صالح، مهند حميد مهيدي. (٢٠١٩). الآثار السياسية والإقتصادية لتوسيع الإتحاد الأوروبي شرقا(دول أوروبا الشرقية أنموذجا). عمان: الاكاديميون للنشر والتوزيع.

طه، جاد. (١٩٩٠). المانيا الى اين المصير. القاهرة: دار المعارف.

علي، ليث أحمد. (أغسطس ٢٠٢٤). انهيار النظام الشيوعي في ألمانيا الشرقية ١٩٨٩: دراسة تاريخية. المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والبحوث التربوية. المجلد ٦. العدد ٤.

فارس. عبيدة. (٢٠٠٢). الجدار الأمني الفاصل بين الكيان الإسرائيلي والضفة الغربية. عمان: دراسات الشرق الأوسط.

كوهلر، جون أو. (٢٠٠٥). جهاز شتازي: الشرطة السرية لألمانيا الشرقية. ترجمة: حسني عبده. بيروت: دار الفارابي.

ماركس. كارل وفريدريك انجلس. (٢٠١٦). الأيديولوجية الألمانية. ترجمة: فؤاد أيوب. بيروت: دار الفارابي.

النائب، إحسان عبدالهادي سلمان. (٢٠١٣). المسألة الألمانية من وحدتها الى إعادة توحيدها. السليمانية: أكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر(الإتحاد الوطني الكردستاني).

ويبر، يورغن. (٢٠٠٥). موجز تاريخ المانيا الحديث، ترجمة: شفيق البساط. لندن: دار الحكمة.

ثانيا. الكتب الأجنبية:

Stern, Carola. (1995). Ulbricht: Eine politics Biographies. West Berlin.

Fulbrook, Mary. (2005). The People's State: East German Society from Hitler to Honecker. Yale University Press.

Koehler, John O. Stasi. (1999). The Untold Story of the East German Secret Police. Westview Press.

McAdams, A. James. (1985). East Germany and Detente: Building Authority After the Wall. Cambridge University Press.

McCauley, Martin. (1983). The German Democratic Republic since 1945. Macmillan.

Starrels, John. (17 August 1984). East Germanys Deceptive Détente. Wall Street Journal.

Downfall. (May 2014). Erich Honecker: the political Crisis of 1989 and the fall of the Berlin Wall.

ثالثا. الرسائل والاطاريح:

خزعل، محمد سمير. (٢٠١٦). كونراد اديناور ودوره في السياسة الخارجية لالمانيا الاتحادية (١٩٤٩ – ١٩٦٣). أطروحة دكتوراة (غير منشورة). جامعة بغداد. كلية الآداب.

خليدة، ماطي وعلي بوخبزة. (٢٠١٦-٢٠١٧). المانيا من الدمار الى المعجزة ١٩٤٥-١٩٩٠. رسالة ماجستير (غير منشورة). جامعة محمد بوضياف. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية. الجزائر.

سامي، شهد حسام. (٢٠١٩). المستشار كونراد أديناور ودوره في النهضة الاقتصادية الالمانية (١٨٧٦-١٩٥٣م). أطروحة دكتوراة (غير منشورة). جامعة تكريت. كلية التربية للعلوم الإنسانية.

رابعا. الموسوعات:

الخوند، مسعود. (٢٠٠٨). الموسوعة التاريخية الجغرافية. (د.م): دار رواد النهضة للطباعة والنشر.

خامسا. المجلات:

سامي، شهد حسام سامي. (ابريل ٢٠٢٤). المانيا ما بين الإنقسام والوحدة ١٩٤٥-١٩٩٩. كتاب وقائع المؤتمر الدولي الثامن للبحوث العلمية والاجتماعية. جامعة سشجيجن. كلية الاقتصاد والادارة والأموال.

شعبان، عبدالحسين. (مايو ٢٠١٣). العدالة الانتقالية مقاربات عربية للجربة الدولية. مجلة المستقبل العربي. بيروت.

علي، ليث احمد. (أغسطس ٢٠٢٤). انهيار النظام الشيوعي في ألمانيا الشرقية ١٩٨٩: دراسة تاريخية. المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والبحوث التربوية. العدد ٤. الجزء ٦.

سادسا. الشبكة المعلوماتية (المواقع الالكترونية):

Encyclopaedia Britannica – Erich Honecker Biographyhttps://www.britannica.com/biography/Erich-Honecker

DW – Deutsche Welle: Erich Honecker
https://www.dw.com/en/erich-honecker-from-power-to-exile/a-18237961

BBC History Archive – The Trial and Release of Erich Honecker
https://www.bbc.com/news/world-europe-18216302.

List of sources and references:

Firstly. Arabic and Arabized books:

Saleh, Muhannad Hamid Mahidi. (2019). The political and economic effects of expanding the European Union eastward (Eastern European countries as an example). Amman: Academics for Publishing and Distribution.

Taha, Gad. (1990). Where is Germany headed? Cairo: Dar Al-Maaref.

Ali, Laith Ahmed. (August 2024). The collapse of the communist regime in East Germany 1989: a historical study. International Journal of Humanities and Educational Research. Volume 6. Issue 4.

Knight. Obaida. (2002). The security wall separating the Israeli entity from the West Bank. Amman: Middle East Studies.

Kohler, John O. (2005). Stasi: East German secret police. Translated by: Hosni Abdo. Beirut: Dar Al-Farabi.

Marx. Karl. and Engels, Frederick. (2016). German ideology. Translated by: Fouad

Ayoub. Beirut: Dar Al-Farabi.

Representative, Ihsan Abdel Hadi Salman. (2013). The German question from its unity to its reunification. Sulaymaniyah: Academy for Awareness and Qualification of Cadres (Patriotic Union of Kurdistan).

Weber, Jürgen. (2005). A Brief History of Modern Germany, translated by: Shafiq Al-Bassat. London: Dar Al-Hekma.

Third. Messages and theses:

Khazal, Muhammad Samir. (2016). Konrad Adenauer and his role in the foreign policy of the Federal Republic of Germany (1949 - 1963). Doctoral dissertation (unpublished). University of Baghdad. Faculty of Arts.

Khalida, Matty. And Ali, Boukhba. (2016-2017). Germany from devastation to miracle 1945-1990. Master's thesis (unpublished). College of Humanities and Social Sciences. Mohamed Boudiaf University. Algeria.

Sami, Shahad Hossam. (2019). Chancellor Konrad Adenauer and his role in the German economic renaissance (1876-1953 AD). Doctoral dissertation (unpublished). Tikrit University. College of Education for Human Sciences.

Fourth. Encyclopedias:

Al Khawand, Masoud. (2008). Geographical Historical Encyclopedia. (D.M): Rowad Al-Nahda Printing and Publishing House.

Fifth. Magazines:

Sami, Shahad Hussam Sami. (April 2024). Germany between Division and Unity. 1945-1999. Proceedings of the 8th International Conference on Scientific and Social Research. University of Szczecin. Faculty of Economics, Management and Finance.

Shaaban, Abdul Hussein. (May 2013). Transitional justice: Arab approaches to the international experience. Arab Future Magazine. Beirut.

Ali, Laith Ahmed. (August 2024). The collapse of the communist regime in East Germany 1989: a historical study. International Journal of Humanities and Educational Research. Issue 4. Part 6.